مقابلة مع قمر بن دانة

وسيلة سعايدية

قمر بن دانة،الأستاذة الفخريّة للتّاريخ المعاصر بجامعة منوبة، هي باحثة مشاركة بمعهد البحوث المغاربيّة المعاصرة. تهتمّ بحوثها بالأرشيف، وبأكثر دقّة، بصناعة الأرشيف.وقد قادتها بحوثها إلى التساؤل عن العلاقات بين المعرفة العلميّة والأرشيف، وهو عمل سمح لها بفهم العلاقات بين المعرفة والإدارة والتعريف بها، وعلى نطاق أوسع، لفهم أسباب وطريقة إنتاج المعرفة.كما أنّ بحوثها تنظر في المعلومات المتاحة للفرنسيّين أو أيضا للإيطاليّين والإنجليز حول تونس في فترة الاستعمار.

وتتعلق أطروحتها للمرحلة الثالثة بالمؤسسات العقابية تحت الإدارة الفرنسية في الجزائر. وركّز عملها في التأهيل على التاريخ الثقافي وتاريخ المثقفين في تونس زمن الحماية.

ما علاقتك بليبيا قبل 2011 ؟

شاركت سنة 1982 في برنامج بحث حول الأرشيف الاستعماري بتونس، مع شارل أندريه جوليان و مارتين مولر.وقد شرعت في هذا العمل بعد تجربة حول الأرشيف الاستعماري الإيطالي في ليبيا.وقد مثّلت هذه التجربة وقتها نموذجا بالنسبة إلى تونس.فأثناء هذه البحوث، تمّ تنظيم ندوات مع باحثين ليبيّين.ولكن، في السنوات اللاحقة، تعطّلت علاقاتي مع زملائي الليبيّين.

حسب رأيك،ماذا تمثّل العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة في ليبيا، بين السنوات 1980 و2010 ؟

لقد التقيت بقليل من المؤرّخين، وكثير من علماء السياسة والاقتصاد. وقد كان وسَطا ذكوريّا للغاية ، وقد كذلك أيضا في تونس في نفس الفترة ولكن بدرجة أقلّ.ولكن،مازلت أحتفظ بذكرى محدّدة لعالمة سياسة شابّة التقيتها في مؤتمر في وهران، وهي تشتغل على دور الجيش.

وفي 2010، اقتصرت معرفتي بليبيا أساسا على المشاكل الموجودة بين تونس وليبيا، مثل مشروع الوحدة بين البلدين، وقضيّة الجرف القارّي 1978، أو أيضا أحداث قفصة سنة 1980.

ومنذ 2011، ما علاقتك بليبيا ؟

أعطتنا مسألة التدخل الأجنبي - وخاصة الفرنسي - صورة بلد تعرّض لضغوط خارجيّة لا تطاق. بل إنها جعلت شخصيّة القذافي محبوبة، رغم أنّي لم أكن أقدّره كثيرا.وفي المقابل، كان لدينا في تونس - في نفس الفترة - انطباع بأنّ ديناميّات الثورة كانت داخليّة.

يمكن أن تضعنا هذه اللحظات التاريخيّة وجها لوجه مع ما كنّا نرغب في القيام به والذي لم يعد من الممكن لنا تحقيقه... ولطالما ندمت على عدم ذهابي إلى ليبيا عندما كانت لديّ الإمكانيّة لذلك، بينما أعرف المغرب والجزائر أفضل.لقد غيّر التاريخ الحديث، منذ 2011، نظرتي إلى ليبيا.

أخبرينا عن تجربتك الأولى مع ليبيا منذ 2011

لقد أتيحت لي الفرصة للتنسيق وقيادة أوّل ورشة عمل للكتابة العلميّة في معهد البحوث المغاربية المعاصرة في ربيع 2019، من خلال أسبوع من التدريب على المنهجيّة والكتابة العلميّة في العلوم الإنسانيّة والإجتماعيّة لفائدة 18 طالبا و5 مدرّسين ليبيّين من جامعة طرابلس وأكاديميّة الدّراسات العليا بطرابلس.وكان الهدف من هذه الورشة هو توفير الدعم المنهجيّ للطّلبة، لتحفيز التعاون العلمي بين مؤسّسات التعليم العالي الليبيّة ومعهد البحوث المغاربيّة المعاصرة والجامعة التونسيّة.

وقد جرّبتها كمغامرة تعليميّة حقيقيّة : كانت المرّة الأولى التي يتمّ فيها التفكير في كلّ شيء وإنجازه باللغة العربيّة. وهو اختبار حقيقيّ بالنسبة إليّ أن يكون لي جمهور يتحدّث كليّا باللغة العربيّة.

خلال هذا الأسبوع من التدريب، ذهبنا أيضا إلى زيارة معرض «لحظة تونسيّة»، أرشيفات الثورة في متحف باردو، وهو معرض يسلّط الضّوء على 29 يوما من الثورة التونسيّة 2011، من خلال الأرشيف.وقد كان وضع هذا المعرض في نصابه بالنسبة إلى الوفد الليبي الذي يعاني من الاضطرابات في بلاده، لحظة ثريّة للغاية.

ومن خلال وساطة مؤسسة فرنسيّة ظهر هذا القرب من ليبيا...

نعم، يمثّل هذا المشروع تحدّيا جديدا في سياق العلوم الإنسانيّة الرّقميّة.ثمّ كان الأمر يتعلّق بإقامة روابط دائمة بين الجامعات الليبيّة، ومعهد البحوث المغاربيّة المعاصرة، كلّ ذلك في أوقات الكوفيد-19. لقد سمح لنا هذا المشروع بالتفكير في كيفيّة التدريس اليوم، وفي عام 2030، و2040، وكيفيّة جعل الطلبة يتفاعلون.

ما رأيك في النقاط الإيجابيّة لهذا المشروع ؟

مكّن هذا المشروع الليبيّين والباحثين التونسيّين المرتبطين بمعهد البحوث المغاربيّة المعاصرة من تبادل الآراء، وهذه المرّة غير مرتبطة بالتجارة، ولكن في الأوساط الأكاديميّة. أجد العلوم الإنسانية والاجتماعيّة تتعرّض لسوء المعاملة في ونس، حيث تميل الدّراسات أكثر فأكثر نحو التقنية. هذا المشروع هو وسيلة لإثبات أنّ العلوم الإنسانيّة والاجتماعية مفيدة. ويمكننا حتّى أن نشتغل عليها مع جيراننا : فنخرج إذن من أطرنا الوطنيّة الخانقة.

ومن خلال وسيط مؤسسة فرنسيّة ظهر هذا القرب من ليبيا

نعم طبعا لأنّ الجامعة التونسيّة ليست موجّهة نحو ليبيا وليس لديها الإمكانيات لإعداد هذا النوع من البرامج.نظرا لأنّني باحثة مشاركة في معهد البحوث المغاربيّة المعاصرة وعضو في جامعة منوبة، فقد سمح لي هذا أن أكون حلقة وصل بين الجامعة التونسيّة والجامعة الليبيّة.

هل يمكنك قول كلمة عن مكانة المرأة في البرنامج ؟

منذ البداية، اخترنا طلبة الدّكتوراه على أساس التناصف (عشر نساء وعشرة رجال) .بالإضافة إلى ذلك، فإنّ مسألة التناصف مثيرة للاهتمام عندما يستحضر المرء الوضع في تونس وليبيا : يوجد حاليّا خمس نساء وزيرات في ليبيا، مقابل واحدة فقط في تونس.هذه العلاقات بين بلدينا تسمح لنا بوضع أحكام مسبقة في منظورها، وخاصّة فيما يتعلّق بنا وبصورة الإستثناء التونسي فيما يتعلّق بحقوق المرأة.

حسب رأيك كمؤرّخة، ماذا يمكن أن يكون مستقبل العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة في ليبيا ؟

مشاكل سياسيّة، بلد مدمّر عسكريّا: لدينا مصلحة في إيجاد فضاءات نلتقي فيها.أتمنّى أن يكون هناك المزيد من الحركة بين الجامعات. في العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، نحتاج إلى هذه التبادلات. بالنسبة إليّ، إنّ أحد

المشاكل من الجانب التونسيّ، هو الاتجاه دائما وحصريّا نحو أوروبا، في حين أنّه بإمكاننا الاتجاه نحو الجامعة الليبيّة، بأعمال بحثيّة وقواسم جديدة مشتركة. خاصّة وأنّنا أدركنا أنّ موضوعات معهد البحوث المغاربيّة المعاصرة تعكس القضايا البحثيّة لزملائنا الليبيّين. نعم بالتأكيد، لقد كانت القدرة على سؤال الليبيّين عن تاريخهم المعاصر محفّزا للغاية بالنّسبة إليّ.وكذلك، لا يمكن استبعاد ليبيا من التأمّلات في المغرب العربي المعاصر، الذي ينظر إليه منذ فترة طويلة (ولا يزال في بعض الأحيان) على أنّه يقتصر على المغرب والجزائر وتونس.

وبوصفك «مختصّة مغاربيّة» مقتنعة، يمكن اعتبارك جزءا من بناة المغرب العربي المعاصر. يحاول هذا البرنامج تجذير ثقافة النقاش في الجامعات الليبيّة، وإخراج أكاديميّي العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة من عزلتهم النسبيّة. إنّ مثل هذه المبادرات في العلوم الاجتماعيّة هي التي ستجعل من الممكن تقديم مفاتيح لفهم ليبيا، والتي لا تزال مفقودة حتّى اليوم. تمّ تحقيق مثل هذه المشاريع من قبل الأكاديميّين المتحمّسين، ونحن نشكرك على التزامك بهذه المغامرة التي بدأت للتوّ.

صورة جوية للعاصمة الليبية طرابلس

© afp.com/.